مقدمة

أتظن أنني سأكتب لك ما يهيئك لما ستجده في الفصول القادمة؟

آسف سأخذلك في ذلك...فما هو آتٍ يحتاج فضولك منذ أول كلمة
فلن تفيدك المقدمات في شيء...

1

كنت واقفة أمام باب حمام شقتي في الثالثة صباحاً، أنظر لامتداد بطني، كانت تؤلمني، لا أعلم إن كان هذا لحاجتي المُلحة التي أيقظتني من نومي لدخول الحمام؟

أم أن طفلي يرغب في أخباري باقتراب موعد قدومه ؟

الضوء خافت أمام الحمام، وباقي الشقة مُظلمة، أخبرت زوجي كثيراً أني لا أُحب الظلام ولا يُبالي، أخذت أدق علي باب الحمام لاستعجاله، ماذا يفعل بالداخل كل تلك المدة؟ وفي هذا الوقت المُتأخر من الليل؟ لا يُجيب ولكن مياه الصنبور مازالت مفتوحة، صمته وتأخره في الداخل بدأ يقلقني، اشتدت حِدة دقاتي علي الباب حتى حل الصمت ولم يعد صوت المياه موجوداً، انتظرت خروجه ولكن أيضاً لم يخرج، اقتربت بأذني اليُسري من الباب أسترق السمع بخوف، فقط أسمع صوت أنفاس بطيئة أربكني، وكأنه أيضاً يستند بأذنه علي الباب من الداخل مثلي يسترق السمع!

فتح الباب بقوة أرعبتني، فشهقت وأنا أبتعد للخلف، خرج من الحمام مُسرعاً لغُرفة النوم دون أن ينظر إلي، دخلها ولم يُغلق الباب خلفه وأنا أُتابعه بعيني المفتوحة بذعر، كنت أريد أن أذهب أليه وأفهم ما به، ولكن كان علي أولاً أن أُفرغ مثانتي قبل أن تنفجر، دخلت الحمام وأنا أُفكر بتعجب في تصرفات زوجي الغريبة حتى تذكرت شيئاً أرعبني أكثر

أنا لم أتزوج بعد!!

في تلك اللحظة كانت آلام بطني اشتدت، كنت أشعر كأسياخ حديدية تُمزقها أشلاء، كنت أصرخ بشدة وأستند بذراعي للحائط وأنا أري ماء المخاض تندفع مني، ولكن لحظة...أنا لم أتزوج، من أين لي بطفل؟

لم أستطع التركيز غير في حدة الألم، وأري مخالب تخرج مع ماء المخاض، يتبعها رأس ذا شعر أسود تزحف إلي الخارج، لا يعقل أن يكون هذا جنيني، أريد أن أقتله قبل أن يخرج بالكامل، ولكن كل ذرة بجسدي تتألم، أتصبب عرقاً، أصرخ وأعضعض علي شفتاي، أغمض جفناي بقوة، وجهي يتلون بحُمرة تستغيث من هول ما أشعر من ألم، فتحت عيني فجأة لأجد ظلام...

ظلام!! كنت جالسة كما أنا، أشعر بقدماي مُمددتان تؤلماني، كنت الهث وقطرات العرق تتساقط من جبيني، وقطرات أخري تنزلق علي جسدي، التفت يميناً ويساراً لا أري شيئاً، كنت أُحاول فهم ما يحدث، تحسست بطني التي لازالت تؤلمني ولم أجد انتفاخها.

أكنت أحلم؟

كيف أحلم وأنا جالسة علي المرحاض، والألم موجود بالفعل؟

أتحرك بصعوبة، أضغط بقدمي علي أرضية الحمام الزلقة وأسند بيدي علي الحائط، جسدي يرتجف بقوة ولا أستطيع تمالك أعصابي، هناك رغبة داخلي في مناداة أحدهم ولا أعلم من أنادي؟

وهل هذا الرجل المجهول مازال في غُرفة نومي؟

بصعوبة بالغة في الظلام الحالك في الحمام،عثرتُ علي مِقبض الباب، بيد باردة ترتجف فتحته وبدأ الضوء الخافت يتسلل لداخل الحمام، صرخت برعب عندما وجدت أمي واقفة أمام الحمام تبتعد عن الباب بخوف كما فعلت أنا قبلها من دقائق، مما جعلها تصرخ بذعر مع صراخي المُفاجئ.

يقولون أن قلبي ضعيف لا يتحمل الصدمات الصغيرة، لكن لا أظن أن ما حدث بصغير كي لا أفقد وعي حينها!

أفقت مرة أخري علي ألم جديد، ليس في بطني هذه المرة...بل في أظافري، حريق يلهب أناملي، مطرقة تضرب في أطراف أصابعي تجعل النبض ينحصر فيهما كأنها ستنفجر...

كانت أمي جالسة أمامي تنظر إلي بقلق، وأخي الصغير بجانبي يبكي، اعتدلت لأجلس علي الأرض وأنا اصرخ:

-صوابعي، صوابعي بتوجعنييي ااه يا ماماااا

--غصب عني يا أيات، مش عارفة أفوقك بقالي نص ساعة، وماكنش قدامي صرفة غير أني أعضك في ضوافرك زي ما قرأت علي النت قبل كده.

أخذت أبكي وأنا أدلك أصابعي برفق، وأخي أحمد يُربت علي ظهري بكفه الصغير، هدأت قليلاً، بعدما شربت قليلاً من الماء، سألتني أمي بنبرة قلقة:

-آيات هو أنتي كنتي قافلة علي نفسك الحمام في الضلمة وبتكلمي مين؟

2

فاجئني سؤال والدتي؛ توقعت أن تسألني عن سبب صُراخي، أو سبب الذعر المُحتل ملامحي، لكنها سألت عن حديثي مع أحدهم داخل الحمام**!**

-بس أنا ماكنتش بتكلم مع حد جوه.

نظرت أمي إلي أحمد الذي توقفت دموعه، وينتبه لحديثنا بتركيز شديد، أمرته بأن يذهب للنوم، بعد جدال بينهم لم يطول؛ استسلم الصغير وذهب إلي غُرفته مُتأفف، عاودت أمي النظر إلي وقالت:

-أنا سمعتك بوداني يا آيات وأنتي بتكلمي حد جوه بخوف وتقوليله (مش لحد غيرك)...وكررتي الجملة اكتر من مرة..

تعجبتُ وأزداد خوفي، أحاول تذكر ما حدث و لا شيء مما قالته أمي اذكره، فقط أذكر زوجي المجهول ذا الملامح الشاحبة والجسد الهزيل، وألم بطني الذي لم يعد موجوداً، وجنيني البشع**!**

-سرحانة في إيه؟ ردي عليا

تنهدتُ بعدم ارتياح، وقلتُ لها في مُحاولة مني لإنهاء هذا النقاش رغم عدم إقتناعي بما أقول:

-تقريباً يا ماما أنا نمت في الحمام وشوفت كابوس، لأني أصلاً خارجة منه مفزوعة للسبب ده.

نظرت لي وكأن شيئاً ينقص حديثي يجعلها لا تصدق، بعد صمت مُتبادل ونظرات مُترقبة قالت، وهي تنهض من أمامي:

-قومي اتوضي وصلي، وادخلي اوضتك ارتاحي يا آيات، وبكره تحكيلي شوفتي إيه في الكابوس.

***

مر الليل مرور غير مُريح، الوقت ثقيل، القلق ينهش قلبي، كنت أرغب في مُحادثة أيمن خطيبي لأطمئن بوجوده، ولكن لم افعل؛ فلديه عمل باكراً والوقت كان مُتأخراً للغاية..لم أرد إزعاجه، أو ربما لم أرغب في إزعاجي بكلماته المُتكررة هذه الأيام، كلما اخبره بأني رأيت كابوساً، يُخبرني بقلق أن أذهب إلي شيخاً...هل كل من يزوره كابوس يتلوه لشيخٍ ما؟

أنه مُجرد كابوس، في المرات القادمة سأنام علي وضوء وأقوم بتشغيل القرآن بجانبي..

ارتديت ملابسي ببطء وإرهاق، كنت اشعر بالنعاس؛ لعدم نومي، ولكن لا مفر من العمل، أخذت حقيبتي وخرجت من باب الشقة أتجه إلي عملي، لا أحب المُحاسبة لذلك عاندني القدر ولم يكتفي بتدريسها لي أربعة سنوات، فأجبرني علي العمل في البنك الذي يُديره عمي، في الطريق أتصل بي أيمن كعادته عندما يصل البنك ولا يجدني في مكتبي، أجبته بإرهاق:

-ايوه يا أيمن..عارفة أني أتأخرت..ولا أنا بخير ومافييش حاجة، وخمس دقايق هكون في المكتب.

سمعت صوته الحنون من خلف سماعة الهاتف يتساءل بقلق:

-لا يا آيات يا حبيبتي صوتك مش مطمني، مالك؟ وإيه طريقة الكلام دي؟

أسندت رأسي إلي زجاج شباك الأتوبيس الموصد جانبي وأنا أُجيب:

مافيش حاجة يا حبيبي، مانمتش كويس بس، وعارفة هتسألني تقولي إيه؛ لذلك جاوبتك قبل ما تسأل.

كان يتحدث في اللحظة التي توقف فيها السائق فجأة، وسمعت صراخ من حولي وجميع من في الأتوبيس يتمتمن، ويتساءلوا بتعجب عما يحدث؟ يتطلعون إلي الخارج للنظر لما يحدث، دخان كثير يملأ المكان كاد يخنقني، نظرت من الشباك جانبي وأسمع مُناداة أيمن، كان هناك حريق هائل ينبعث من سيارة سوداء مُتفحمة، حشود من البشر تملأ المكان، البعض يركض والبعض يصرخ والنار مُشتعلة، قُبض قلبي وحُبست أنفاسي عندما رأيته،

هذا الذي كنت أراه زوجي ليلة أمس، واقفاً خلف السيارة مُبتسماً لي، ولكن مشوه، لا أعلم هل كان من ضحايا الحادث فتأكل لحم وجهه وجسده هكذا؟ أم ما الذي حل به ليجعله بكم البشاعة تلك؟...

ليلة أمس كان عادياً، اليوم ملابسه مُمزقة ومُلطخة بالدماء، شعره أشعث مُتجلطة به الدماء، عيناه محمرتين كالدماء، كان مُمسكاً بشيء في يده ملفوف في بنطال بچامتي!

كنت مُرتعبة وأرتجف، وجدته يُظهر ما باللفافة التي بيده، أنه هو..الجنين البشع، ذا المخالب والشعر الأسود، عندما رآني أكتم صرختي حينما رأيت ما يحمله، توجه نحوي راكضاً يتجاوز الحشود ليصل إلي، لم أستطع فعل شيء غير الصراخ...أنتفض جسدي عندما وجدت أحدهم يُربت علي كتفي، نظرت بجانبي فوجدت جميع من بالأتوبيس ينظرون لي بارتياب، نظرت لهم بخوف ولهفة وسرعان ما أزداد عليهم شعوري بالتعجب؛ عندما وجدت أننا نسير في طريقنا والأتوبيس غير متوقف، أين رائحة الدخان؟

سألتني الفتاة التي تجلس بجانبي:

-مالك يا أنسة؟

--هو إيه حصل؟

-أنتي كنتي بتتكلمي في التلفون وفجأة قفلتيه خالص، وحطتيه في شنطتك وقعدتي تخبطي دماغك في الشباك وتعيطي!

***

لم أستطع مواصلة اليوم في العمل، أحداث اليوم مُجهدة وغير طبيعية، أخذني أيمن للمنزل بعدما رأي حالتي عندما وصلت البنك، لم أكن في حالة مُتزنة، وأبكي وأتفوه

بكلام غير مفهوم، مما جعلهم يعطوني أجازة باقي اليوم لأرتاح، واستطاع أيمن الاستئذان لمُرافقتي للمنزل.

في سيارته وفي طريقنا لمنزلي، بعدما هدأت وتحدثنا عما رأيته بالأمس، وما حدث في طريقي للعمل، كان يقود السيارة وينظر لي من حين لأخر بخوف، لا أعلم إن كان مني أم عليا؟ حتى نطق أخيراً:

أيات لازم تروحي لشيخ.-

فزعت فيه:

-مش كل مرة تقولي كده يا أيمن، أنا مش ملبوسه، ولا مجنونة أنا كويسة.

ترجلتُ من السيارة وأغلقت بابها بعصبية وأنا نادمة بشدة أنني قصصتُ عليه ما حدث، صعدت إلي شقتنا، وكان أيمن في سيارته يتصل بأحدهم وهو يتمتم بعصبية:

-ردي يازبالة، ردي..

ينتهي الاتصال ويعاود الكره ولكن لا مُجيب..

3

-غريب فعلاً اللي بيحصلك ده...وفعلاً أنا برجح فكرة أيمن، أنتي لازم تروحي لشيخ علي الأقل نطمن.

زفرتُ بشدة وأنا أستمع لكلمات غادة زميلة العمل، التي أتت بعد انتهاءه لتطمئن علي حالتي، قلتُ لها بضيق:

-حتى أنتي يا غادة هتقوليلي شيخ، أنا مش ملبوسه يا جماعة..أنا مش ملبوسه..

قاطعني دخول أمي للغُرفة، وضعت أكواب العصير علي الطاولة، وجلست علي الكرسي المُقابل لغادة وقالت لها بيأس:

-أهي زي ما أنتي شايفة يا غادة، عنيدة ومش قادرة تصدق أن اللي بيحصلها ده لازم ليه شيخ.

--سيبيها يا طنط علي راحتها، وقت ما هي تهدي وتقرر عايزة إيه، المهم تشغلي لبها علي طول قرآن في المكان.

***

ألقى أيمن مفاتيح شقته علي الطاولة، كما ألقي جسده المُنهك علي الأريكة أمامها، ولكنه لم يستطع إلقاء حمولة أفكاره بعيداً عن تلك المنطقة، أمسك بهاتفه وأتصل بها للمرة السابعة عشر وفي هذه المرة...أجابت.

-عايز إيه يا أيمن؟

--عملتيها تاني صح؟

-هي إيه دي اللي عملتها؟

--آيات، أنتي اللي أذيتي آيات.

-لا بقولك أيه، أنت كل ما هيحصلك بلوه هتيجي ترميها عليا؟ الحوار ده أنا قفلته من زمان.

--ماتستهبليش، أنتي من ساعة ما سيبنا بعض وأنتي مش مهنياني علي خطوبة، بس المرة دي مش هعديهالك لو عرفت أنك السبب، أنا بحب آيات، ولو جرالها حاجة وديني ما هرحمك سامعة؟ مش هرحمك..

تيت.. تيت.. تيت**

--قفلت بنت الكلب، بس هتروح مني فين؟

***

كنتُ سابحة في عالم نائم حينما عدتُ لدنيا الاستيقاظ علي رائحة حريق، شعرتُ باختناق، لا أستطيع التنفس، فتحت جفوني لأجد ضباب يُعبئ الغُرفة، لا أري من خلاله أي شيء فقط أسعُل، ولا حتى أستطيع طلب المُساعدة، قبل أن أنهض شعرتُ بشيء يلمس أطراف قدمي، ثم ساقي ثم يصعد إلي بسرعة ويلتصق وجهه بوجهي، يضحك بأسنانه المُقززة وشعره الأشعث، أُحاول الصُراخ لا أستطيع، جسدي وكأنه مُكبل لا أتمكن من تحريكه، أقترب من أذني وأخذ يهمس وأنا أبكي أسفله

(أنا أخدت واحد بس وباقي واحد لسه ما أكتملش...هما ساعات وهيكون بين إيديا..اللي في بطنك مش لحد غيري..اللي في بطنك لمين؟)

دموعي تنهمر، غير مُصدقة ما أسمع، فليوقظني أحدهم أرجوكم، من المؤكد أنني في كابوس، كرر سؤاله مرة أخري ولم أجيبه، قيد رقبتي بمخالبه وبدأ في خنقي وهو يُكرر سؤاله بصوت عالٍ، أحاول النطق، أحاول التحرك، مُحاولات مُحاولات ولا شيء يُجدي، أول مرة أشعر بكم الذل هذا، انطلقت مني الكلمات بصوت مبحوح قارب علي الانتهاء مع أنفاسي التي تختنق بين يديه

(مش لحد غيرك.... مش لحد غيرك... مش لحد غيرك)

استيقظتُ من نومي الهث بشدة، وأسعُل بقوة، ودموعي تنهمر، عيناي لا تري غير الظلام، حتى بدأت الرؤية تعود رويداً رويداً، ولكن هناك عاصفة من المخاوف والشعور السيئ يهدماني من الداخل، صداع شديد يفتك رأسي

هناك صوت قرآن ينبعث من الصالة، نعم أنا في غُرفتي، أنا كنت أحلم، هذا أسوأ كابوس مر علي، صوت القرآن يتعالي الكلمات تُتلي كأنها أسفل ماء لا أميز حروفها!

وهذا يؤذيني، أشعر بحرارة بجسدي، الصوت يربكني.

توجهت إلي الصالة وكلما اقتربت من الصوت الحرارة تزيد في جسدي، رأتني أمي أهرول في الشقة أذهب هنا وهناك وأنا احك جسدي، وأضغط أُذناي بكلى يداي

سألت أمي بريبة:

-مالك يا آيات فيكي إيه؟

--أقفلي الصووت أقفلييه..

-صوت إيه اللي أقفله؟ أنا مش مشغلة حاجة يا آيات!

--في صوت عامل زي صوت قرآن شغال، اقفلييه..

أزداد الخوف في ملامح أمي وهي تنظر إلي وتقول بصدق:

-هو فعلاً صوت قرآن، بس دي صلاة المغرب يا آيات في الجامع....لا الموضوع ده ما يتسكتش عليه، أنتي لازم تروحي لشيخ، ادخلي ألبسي.

--سيبي أيدي، مش هلبس، مش هروح، أنا مش ملبوسه، سيبيني.

كانت تُحاول إجباري وأنا أحاول التخلص من قبضتها، الحرارة تزداد في جسدي، الألم في رأسي يزيد، والاختناق يعود، وبطني تنتفخ ببطء!

***

كانت أمرآة عمي جالسة مع أمي في الصالون، وأنا وأبنتها أمل جالسات في غُرفتي، علمتا من عمي أنني كُنت مُتعبة في الصباح في العمل لهذا أتوا كي يطمئنوا، أمي تُحب زوجة عمي كثيراً، هي الوحيدة التي وجدتها صديقة لها في عائلة أبي المُتفرقة...ولكن أنا لست أمي، أنا لا أستطيع تكوين صداقات، لذلك لا أتحدث كثيراً ، ليس لي غير صديقة واحدة، هي غادة، هي الوحيدة من استطاعت السطو علي انطوائي وجعلتني أأتمنها علي أسراري؛ لذلك لم استطيع الإفصاح عما بي لابنة عمي...لا يهم فحتماً سيصلها تفاصيل التفاصيل من والدتها؛ فلن تفوت والدتي تلك الحكاية العجيبة وسوف تحكيها لها كي تجعلها تقنعني بالذهاب إلي الشيخ، فلولا مجيئهم أثناء شجارنا مُنذ ساعة لكان الأذى أصاب أحد منا، أو ربما كانت أمي استطاعت أخذي للشيخ...لا أعلم ما حل بي، ما أعلمه فقط أنني لست بخير، ولا أريد أن أخوض الأسوأ في سباق الدجالين.

هؤلاء يطلبون مبالغ طائلة، وأنا راتبي يكفي فقط مطالب المنزل، ومصاريف دراسة أحمد، وباقي المصاريف يتكفل بها عمي بعد ممات والدي مُنذ أعوام، وأنا لن أطلب، كما لا أريد أن أكون فأر تجارب هؤلاء الدجالين.

بعدما رحلتا وجدتُ ذاكرتي تستعيد تفاصيل غريبة، تفاصيل الكابوس الأخير التي ألهتني عنها زيارة زوجة عمي، كنتُ في ذهول، نظرت إلي بطني التي تؤلمني لأجدها قد انتفخت عن الوضع الطبيعي بقليل، أنا في حالة رعب، من المؤكد ما يحدث ليس مُجرد كابوس...هناك خطب ما.

أمسكت هاتفي واتصلت بغادة، أجابت:

-توتة أخبارك أيه دلوقتي؟ كنت لسه هتصل بيكي كمان دقايق قبل ما أنام.

--غادة أنا مش كويسة..أنا فعلاً فيا حاجة غلط.

-في إيه، حصل حاجة تاني؟

بدأتُ في البكاء وأخذت أقصُ عليها ما حدث، وبعدما انتهيت أحتل الصمت المُكالمة لدقائق، كنت أعلم أن الأمر صادم ومُخيف ولكن صمتها طال فأرعبني، انتفضت علي صوتها الذي ظهر فجأة وهي تقول:

-أنتي ممسوسة بجن عاشق يا آيات..

4

لم يُجافيني النوم الليلة أيضاً، ليس من السهل علي المرء أن يكون حبيساً في حياة مجهولة داخل حياته، لا يفهم كيف دخلها؟ أو كيف دخلت فيه! ؟

أحقاً أنا ممسوسة بجن عا..(.مم... م. م. ممشق كما قالت غادة؟

طوال الليل أنظر لانتفاخ بطني، وأتذكر حديثي مع غادة، هي تظن أنني فعلتُ شيء خاطئ كي أقع في تلك المُصيبة، كالنوم في المنزل وحيدة في ظلام بملابس عارية، أو بالنظر كثيراً في المرآة والتجمل في تفاصيلي...نعم أنا أحب ملامحي، وكثيراً ما أحببت تأمل تفاصيلي، وتمشيط شعري لمدة طويلة في المرآة...لكن لم أكن أعلم أن هناك من سوف يُتيم بي من نظراتي إلي نفسي في المرآة وأُبتلي بمخلوقات منه في رحمي، تجعلني في صراع بين عالمين..

هل أنا جُننت؟ ما الذي أقوله؟ أي مخلوقات تلك التي أكون أماً لها؟..أنا إنسانة ولا يمكن أن يحدث تلك الخرافات.

ولكن كيف للخرافات أن تُزيد حجم بطني خلال ساعات بشكل ملحوظ؟

حتماً أنا فقدت عقلي.

قررتُ الانسياق لرغبة أمي..أنا أعترف، أنا بحاجة لمن ينقذني قبل فوات الأوان وإن كان..دجالاً.

في الصباح فتحتُ خزانة ملابسي؛ أبحث عن شيء بها أرتديه للذهاب مع أمي لشيخ عزت، شيء يُناسب تغيرات جسدي المُريبة لحين إيجاد حل للتخلص من تلك المُصيبة، بعد بحث طال، وبعد عرض أزياء ميئوس منه لتجربة كل قطعة ملابس تخصني، وجدتُ أخيراً ما يفي بالغرض، كانت بلوزتي السوداء التي كنت أرتديها في أول عام جامعي لي، قبل أن أفقد من وزني الكثير، مازالت أمي مُحتفظةً بها في خزانتي، أرتديتها مع جيب وردي، وحجاب بسيط من نفس اللون...بهتت ملامحي كثيراً ، أسبوع واحد مر كعمر من النكسات، شحب وجهي، أنطفأ المرح من كياني، طغي الحُزن نظرتي...وكدت أُصدق أن تلك التي بالمرآة، ليست أنا.

***

أخذتني أمي لمنزل الشيخ عزت وهي سعيدة باستسلامي لرغبتها، ولكن ذهابي كان مشروطاً بأن لا يعلم به أحد، لذلك لم أُخبر غادة ولا أمل، ولا حتى أيمن، كما أن والدتي أقسمت أن لا تُخبر عمي وزوجته بذهابنا، عندما دخلنا كنتُ مُتعجبة ومشمئزة من أن ما يسمونه شيخاً يعيش في تلك الرائحة العفنة!

سألت والدتي وأنا أخفي أنفي بمنديل ورقي، أحاول منع الرائحة النتنة من اختراق انفي:

-أنتي أزاي مش قرفانه من ريحة المكان؟

نظرت إلي أمي بدهشة، وتأملت المكان وهي تشم، عادت إلي بنظرها وقالت:

-ريحة إيه اللي مُقرفة! لا ده ريحة مسك.

قلتُ باستنكار:

لا مُستحيل الريحة دي ريحة مسك.

قاطع حديثنا ابنة الشيخ وهي تدعونا للدخول، كانت غُرفته ذات أثاث بسيط قديم، جالس علي وسادة يقرأ من مُصحف أجهدته كثرة القراءة، رجل ستيني بشوش ولكن نظرته مُريبة، جلسنا أمامه فأبتسم لي وسأل:

-أسمك أيه؟

أجبتُ بملل:

-علي أساس أنك مش عارف!، أنتوا بتبقوا عارفين كل حاجة من غير مانقولكم.

رمقتني أمي بلوم، في حين سألني هذا العجوز دون أن تختفي ابتسامته:

-إحنا مين؟

أجبته:

الدجاليين.-

ضحك بشدة حتى سَعُلَ، وبعدما انتهي قال لي:

-أنتي شكلك بتسمعي أفلام كتير، أولاً أنا رجل دين، أرقي رقية شرعية لمن أصابته عين حاسد، أعطي حل لشخص تعبان أو مسحور ليه وكله بالقرآن بدون مُقابل يا بنتي، لكن الدجال ده شخص بيلعب بالناس عشان فلوس، أو شخص بيأذي بالسحر عشان نفس الغرض وهو المكسب.. قوليلي بقي أسمك إيه؟

***

خرجت غادة من البنك، أوقفت سيارة أُجرة وقبل دخولها السيارة امسك أحدهم معصمها بقوة، صرخت به والسائق يترجل من السيارة؛ كي يُدافع عنها، ولكن هذا الشخص قال له بصوت عالٍ:

-أمشي يا أسطا من هنا شوف شُغلك، دي خطيبتي ومش هتروح غير معايا.

أنتظر لحظات السائق ليستوعب هل هذا الرجل صادق؟ أم أن الفتاة تحتاج مُساعدة بالفعل؟ فوجدها تصرخ بهذا الشخص:

-عايز إيه يا أيمن؟

تركهم السائق وذهب في طريقه، وقفت غادة أمام أيمن الذي ينظر لها بغضب ويقول:

-قوليلي عملتيلها إيه يا غادة؟

--قلتلك ماعملتش حاجة ، آيات صاحبتي ومش هأذيها

-صاحبتك! طب ما كل واحدة من اللي خطبتهم كانوا أصحابك بإرادتك، واحدة صاحبتيها عشان تديها حبوب هلوسة كل يوم في العصير لحد ما أتجننت، وواحدة عملتي ليها عمل تكرهني، والتانية أقنعتيها أني بخونها، دي بقي عملتي فيها إيه؟

--أنا فعلاً كنت ناوية أأذيها، بس بجد من ساعة ما قربت منها وأنا قفلت الموضوع ده... أنا حبيت آيات بجد وخلاص أنا اقتنعت أن عمرك ما هترجع تحبني بعد كل الأذى اللي سببته ليك يا أيمن...صدقني أنا ما أذتش آيات وبالدليل علي ده أني عمري ما جبتلها سيرة عن ارتباطنا القديم.

يا سلام، براڤوا... هايل، ماكنتش أعرف أنك موهوبة في التمثيل بالشكل ده .

بدأت غادة في البكاء، ولا تجد ما تدافع به عن نفسها.

***

هي بتعيط ليه يا شيخ؟

كان العجوز يُرتل بعض الآيات لا أتذكرها، فقط أذكر جيداً أنني لم أكن معهم من الأساس..

عندما بدأ بالتلاوة شعرتُ بالحرارة تسري في جسدي، دوار شديد تملك رأسي، كانت معالم الغُرفة تختفي شيئاً فشيئاً، والصوت يتحول لصفير، صفير يعلو فيؤلمني ويُربكني، يجعلني غاضبة وفي حالة هياج شديد، أمسك رأسي وأضغط علي أسناني بقوة، اهتز بعنف، تحول الصوت لبكاء طفل صغير، لم أجد معي سوي الفراغ..اختفت أمي، وأختفي الشيخ مع اختفاء كل شيء، تبقي لي صوت بكاء الطفل، وأنا أركض في غُرفة فارغة أبحث عنه لا أجده، حتى شعرت بألم في بطني شديد، نظرت لها لأجد صوت البُكاء ينبعث منها، كنت واقفة أنظر بهلع لبطني المُنتفخة، يبرز فيها هيكل طفل، يدين ورأس وقدمين كأنهما مَنحوتات طبيعية علي بطني، لم أري مثل هذا من قبل...بل والأسوأ أشعر به، كنت أتألم بشدة، أبكي بصوت عالٍ، رفعتُ رأسي لأجده أمامي يبتسم ذا الشعر الأشعث، قال بفخر:

-اليوم مُرادي، اليوم عزتي.

لا يجب أن يولد هذا الطفل، يجب أن أتصرف..أخذتُ اركض في الغُرفة؛ أحاول إيجاد سبيل للهروب، والغريب أنه ظل وقفاً يستمتع بمشاهدة هلعي الذي لا نفع له في غُرفة

دون معالم، أخذت أصرخ وأركل الحائط بجنون، حتى سقطت فاقدة للوعي...وعاد وعي بين ذراعا أمي وهي تبكي.

نهضتُ مُسرعة دون تفكير، وركضتُ خارج الغُرفة ثم خارج المنزل وأمي لم تستطع اللحاق بي...تركتها مع الشيخ ولا اعلم ما وجهتي، الآن فقط ما أفكر فيه هو التخلص مما داخلي.

***

بنتك معمول ليها عمل قوي يا حاجة، بنتك بيلعب بأعصابها جني من أقوي الجان الخطرة، واللي مسخره ليها واحدة قريبة منها جداً والكلام ده لسه حديث ولازم نعالج بنتك ونحصنها بأسرع وقت؛ لأن ساعات قليلة والأذى هيوصل ببنتك أنها تأذي نفسها واللي حواليها.

ببكاء وحزن تسأل:

-مين؟ مين اللي عملت في بنتي كده؟

***

خرجت أمي تُهرول في الشوارع بقلة حيلة لا تعلم ماذا تفعل؟ وأين أنا؟ وإلي من تلجأ؟ ذهبت إلي منزل عمي وعندما فتحت لها أمل سألتها باكية:

-فين ماما يا أمل؟ ممكن تناديهالي ضروري.

قالت أمل بقلق:

-حاضر يا طنط أتفضلي أدخلي.

خرجت أمل من غُرفة الصالون وعادت مكانها أمها قلقة، نظرت لأمي وسألتها بخوف:

-خير يا أم آيات حصل إيه؟

--عملتي عمل لبنتي ليه يا تهاني؟

تسمرت تهاني مكانها، وتحول الخوف المُزيف إلي صدمة، كما لو أنها لم تتوقع أن تكشف حقيقتها، قالت بارتباك:

-إيه اللي بتقوليه ده؟ أنتي جاية تتهميني في بيتي؟

--ماتحاوليش تنكري لأن الحقيقة أتعرفت يا تهاني وأنا أتأكدت أن أنتي؛ ناس شافوكي وأنتي بترشيه قدام عتبة البيت، أنا كل اللي عايزة أعرفه أنتي ليه عملتي في بنتي كده؟ بنتي عمرها ماعملتلك حاجة وحشة، دي هي اللي كانت بتخدمك في مرضك وقت ما بنتك كانت طفلة.

صرخت في أمي وقالت بغضب:

-أنا ماكنتش أقصدها هي، ماكنتش عايزاها هي، العمل كان ليكي أنتي، أنا ماعرفش ده حصل أزاي؟

قُبض قلب أمي وأزداد بُكاءها، سألتها بصدمة:

أنا؟ ليه؟ عملتلك أيه؟ دا انا كنت بعتبرك أختي؟-

نظرت لها تهاني وقالت بحقد:

-عشان كل حاجة حلوة لازم تروح لأم آيات، عشان مافيش زوجة وفية، وناصحة، وشاطرة في تربية بنتها غير أم آيات، مابعرفش أشوف جوزي إلا ومدح أم آيات علي لسانه، لازم كل شوية يشكر فيها و يقارني بيها، ومهما عملت عمري ماجيت زي أم

آيات...كرهتك وعمري ما حبيتك، خفت قصاد كل ده يخليكي تشاركيني فيه ويتجوزك، ماكنش قدامي غير أني أمنعك تقبلي أي حد، كنت عايزة أربطك وده كان قصد العمل... ماكنتش اعرف أنه هيكون من نصيب بنتك.

في حمام منزلنا، أقف أسفل الماء، لا أستحم، بل أحاول تخفيف الألم وإزالة أثار الدماء، كنت أسمع صراخ أحمد من الخارج ودقاته العنيفة علي الباب وهو يبكي وينادیني، مسكين الصغير، أرعبه منظري وأنا مُمسكة بالسكين قبل أن أدخل به الحمام وأغلق بابه بالمفتاح من الداخل، أنظر لامتداد بطني وأبكي بصوت عالي، تسيل دموعي بغزارة وتمتزج مع مياه الصنبور الذي يغمرني بمائه، أمسكت السكين وبدأت بغرزه في بطني وأنا أشهق وأتألم، غير قادرة علي التنفس من شدته، أمرر السكين بعرض بطني لأشقها نصفين، كل شيء بي يتململ من الألم، الدماء تندفع كالشلالات، جسدي يرتجف بقوة، يدي فقدت السيطرة علي التحكم فأسقطت السكين، بأصابعي التي يُعاندها الماء ليمحي أثار الدماء منها، أخذتُ أدخلهما لداخل الفتحة كي أخرج هذا الشيء من داخلي، لم تحملني قدمي أكثر فسقطتُ أرضاً، وأنا أسقط أمسك بشعري وجذبني منه وهو يصرخ بي أن أترك جنينه يكتمل، أنا أموت بين يديه، الخوف أصبح ضئيلاً مُقارنة بالألم الذي اشعر به وأنا أمد يدي بين أمعائي، كانت الرؤية تضعف والصوت يُمحي... والوقت يتوقف، والألم ينتهي!

عادت أمي ودلفت إلي الداخل علي صراخ أحمد، أخبرها بما رأي فحاولت كسر الباب عندما لم أجيب، فُتح باب الحمام كما فُتحت عينا أمي علي مصراعيهما ودوي صراخها في المكان، وهي تنظر إلي، كنت مُلقاة علي أرضية الحمام وبجانبي سكين، وبطني مفتوح من منتصفه، وأمعائي خارجة منه ، والدماء لا تستطيع المياه المندفعة من الصنبور محوها.

كان هذا أسوأ يوم بالنسبة لهم جميعاً، لم أكن أتوقع أن أيمن يحبني للقدر الذي أفقده صوابه عندما علم بما حدث، أما بالنسبة لي...فليس هناك أسوأ من أنني أنام بجانب أمي كل ليلة ولا تحتضنني كما كانت تفعل قبل أن أموت، فهي حتى لا تراني وهذا يؤذيني.

تمت بحمد الله 😈